التفسير المبين

ألّفه وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الأول

ⓒ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٦مج

ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ٣٦١٤/ ١٤٢٩

رقم الايداع : ٣٦١٤/ ١٤٢٩

ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

جميع الحقوق محفوظة

لـ «مجلة

البحوث الفقهية المعاصرة»

المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إن كتابك أعظم كتاب، وأجل وأشرف خطاب.

أنزلته على نبيك ورسولك محمد ﷺ رحمة للعالمين، وهدى للمؤمنين، ونذيراً للظالمين.

وما تفسيره إلا محاولة لتدبر آياته، ومعرفة أحكامه، والاستضاءة بضيائه.

أما في معناه فهو أعظم من أن يفسره مفسر، أو يؤوله مؤول، أو يتقول فيه متقول.

اللهم إن كاتب هذا التفسير يبرأ إليك من كل كلمة فيها زلل، ويستغفرك من كل ما جرى به اللسان، أو كتبه القلم.

المؤلف

E-Mail: a.nafisa @hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهديهم إلى يوم الدين أما بعد:

* فمنذ أن كان لي شرف عظيم بحفظ كتاب الله في السنين العشر الأولى من العمر على يد والدي -رحمه الله- ثم في الحرم المكي على يد شيخي محمد عبد الرزاق حمزة -رحمه الله- كانت رغبة والدي في تلك السنوات تدفع إلى دراسة تفسير كتاب الله تلازماً مع حفظه؛ فكان أول ما عرفت من التفسير تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي.

** ومع تقدم العمر كانت هذه الرغبة تتفاعل في النفس رغم حواجز الحياة بما فيها من مشقة الاغتراب، ومن ثم السير في طريق الحياة ومسارها بما فيه من المجاهل، والأحمال، والأكدار.

وقد صحبت في هذا المسار العديد من كتب التفسير ومنها: -على وجه الخصوص- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، والجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، وتفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ثم كتبت هذا التفسير وسميته «**التفسير المبين**». وقد راعيت فيه بساطة التعبير، وذلك بالأخذ بظواهر الآيات دون محاولة الاستغراق في التأويل، أو الاستدلال بشواهد الشعر، أو التحليل الذي يعتسف المعاني البعيدة عن يسر القرآن، وسماحته.

* وقد استنبطت من تفسير الآيات ما سميته «أحكام ومسائل الآيات»، واستهديت في هذا الاستنباط بما يناسب هذه الأحكام من الآيات من كتاب الله، ومن سنة رسوله محمد ﷺ، ومما أبانه فقهاء السلف الأعلام من هذه الأحكام. **وما ذكرته في هذا التفسير عن «بيان الآيات وأحكامها ومسائلها» لا يعني بأي حال القول باستغراق كلياتها، وإنما هو مجرد اجتهاد محض. والقاعدة أن ذكر الشيء باسمه أو وصفه لا يعني مطلقاً استيعاب حقيقته.**

** إن كتاب الله العظيم معجزة كبرى، جاء بها رسول الهدى محمد ﷺ رحمةً للعالمين، ونظاماً أبدياً لسلوكهم، ونوراً لمسارهم، وبصيراً لهم في أولاهم وأخراهم. وتفسير هذا الكتاب أعظم من أن يدركه إدراك يقين علمُ عالم، أو تأويل مؤول، أو تفسير مفسر.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه إلى المولى القدير أن يجعل في جهد المقل ما يضيف أقل القليل إلى هذا العلم العظيم، وأن يتجاوز عن الزلل والخطيئات، ويعفو عن السيئات إنه جواد كريم، وبعباده رؤوف رحيم.

وكتب مسودته بخط يده الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

وذلك صباح يوم الجمعة الموافق التاسع من

شهر ذي الحجة من عام ١٤٢٧هـ.

مقدمة التفسير

وفيها عشر مسائل:

المسألة الأولى: نزول القرآن.

حمداً لك اللهم على آلائك، وشكراً لك على فواضلك، وما أنعمت به من إنزال كتابك هدى ورحمة للعالمين، وبشرى للمتقين.. لقد عاش الإنسان سنوات من الجهل يَعْمَهُ في الطغيان، وينشر الفساد في الأرض بعد أن أفسد ما جاء في الكتب السابقة، فبدَّل ألفاظها وغيَّر أحكامها، وانحرف عن مقاصدها؛ فكان الهوى هو الحاكم له، والطغيان شريعته، فلم يجد الضعيف منه والياً يواليه، أو ناصراً ينصره. ولم يجد اليتيم من يؤويه، ولم تجد المرأة من ينتشلها من الظلم؛ فكانت توءد في صغرها، وتباع في كبرها، وتبتذل في إنسانيتها وكرامتها.

** ولما طفف الكيل، وعم الظلام، وانتشر الفساد في الأرض أوحى الله إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ فأنزل عليه القرآن بآياته البينات؛ وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: (**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**)[1]. وقد تتابع الوحي

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، فتح الباري ج٨ ص٦١٩، برقم (٤٩٨) .

بنزول القرآن بعد أن أنزله الله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك مفرقاً حوالي عشرين سنة.

** وكان لهذا التنزيل على هذه الصفة حِكَمٌ عظيمة نشهدها في قوله عز وجل ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾(١). وقوله ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾(٢). وقوله عز ذكره ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾(٣).

ومن هذه الحكم: تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وإشعاره أن ربه قريب منه وأنه يتعهده بتتابع نزول الوحي عليه؛ ذلك أن المشركين وأسلاف اليهود تنقصوا من نزول القرآن بهذه الصفة خلافاً - كما يقولون - للكتب السماوية كالتوراة، والإنجيل التي نزلت جملة واحدة. ومنها: أن نزوله بهذه الصفة يسهل عليه حفظه، وفهم أحكامه وأسراره، ولهذا علمه الله أن يستمع للوحي ولا يعجل بالقراءة ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾(٤). وقوله ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾(٥).

(١) سورة الفرقان من الآية ٣٢ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٣٣ .
(٣) سورة الإسراء الآية ١٠٦ .
(٤) سورة القيامة الآية ١٦ .
(٥) سورة طه من الآية ١١٤ .

** ومن هذه الحكم: أن المشركين وأسلاف اليهود كانوا يقولون أقوالاً، ويضربون أمثالاً وشبهاً من الباطل؛ لتأييد زيغهم عن الحق، فكان القرآن ينزل لبيان فساد حججهم وأمثالهم، ناهيك أن رسول الله ﷺ وهو يبلغ الرسالة كان يلاقي من العنت وقوة المشركين وأعوانهم، وتسلط سفهاءهم عليه؛ فكان في نزول القرآن عليه عزاء وتسلية له حين يقص الله عليه ما جرى للرسل من قبله من العنت والتكذيب في قوله ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾(١). وقوله تقدست أسماؤه ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(٢). وقوله جل ثناؤه ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٣).

** ومن الحكم في نزول القرآن مفرقاً: التدرج في التشريع إذ لم يكن من السهل على الذين آمنوا بالرسالة من العرب وغيرهم أن يستوعبوا حفظ القرآن جملة واحدة، ناهيك عن أن واقع بيئة العرب يقتضي تفريق الأحكام؛ لتيسيرها حتى يكون ذلك أدعى لقبولها. وخاصة أن هذه الأحكام كانت تحرم معظم عاداتهم وأحوالهم وتقاليدهم الجاهلية. ومن ذلك: ما حدث في مسألة الخمر فقد كان النهي عنها أولاً

---

(١) سورة هود الآية ١٢٠ .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .

حال الصلاة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾(١). ثم تحول هذا النهي إلى التحريم القاطع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢).

** ومن هذه الحكم: تقوية عزائم المؤمنين، وتثبيت قلوبهم تجاه المنافقين وإشعارهم أن الغلبة لأهل الإيمان، وأن العزة في الدنيا والآخرة ستكون لهم ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ الآية(٣). ومنها: تحقيق ما كان يخبر به رسول الله ﷺ أصحابه كما أخبرهم عن رؤياه في دخول مكة وطوافه بالبيت. ولما وقع صلح الحديبية وتساءل بعضهم في نفسه عن هذه الرؤيا قال لهم: **(إنكم ستدخلون مكة وتطوفون بالبيت)**. وهذا ما حدث لهم في العام القابل بعد الصلح، فنزل قول الله تعالى ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ

(١) سورة النساء الآية ٤٣ .
(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .
(٣) سورة النور الآية ٥٥ .

ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(١).

** ومن حكم نزول القرآن مفرقاً: نزوله جواباً على ما يرد إلى رسول الله ﷺ من أسئلة قد يكون مظهرها حبّ المعرفة، وباطنها محاولة امتحانه بها، كما فعل أسلاف اليهود حين سألوه عن الروح، فأمسك عن جوابهم إلى أن نزل عليه قول الله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢). فلما أخبرهم رسول الله ﷺ بذلك قالوا: من جاءك بهذا؟ قال: (**جاءني به جبريل من عند الله**)، فقالوا: ما قاله لك إلا عدونا، فأنزل الله عليه ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣). ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(٤).

وقد يكون السؤال على سبيل الاستفهام لمعرفة الحكم، كما فعلت خولة بنت ثعلبة في شكواها لزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها، فنزل قول الله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(٥). ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ

(١) سورة الفتح الآية ٢٧ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٩٧ .
(٤) سورة البقرة الآية ٩٨ .
(٥) سورة المجادلة الآية ١ .

مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾(١). ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

** ومن الحكم في نزول القرآن مفرقاً: تربية الأمة، وترقية أخلاقها، وحفظ سلوكها. ومن ذلك: التثبت في قبول خبر الفاسق حتى لا يكون ذلك سبباً في الحكم بغير الحق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٣). ومن ذلك: اجتناب الظن، والتجسس، والغيبة، والسخرية، واللمز، ونحو ذلك مما يفرق الكلمة، ويوجد العداوة بين الأمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾(٤). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ ﴾(٥).

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢ .

(٢) سورة المجادلة الآية ٣ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٦ .

(٤) سورة الحجرات الآية ١٢ .

(٥) سورة الحجرات الآية ١١ .

** ومن الحكم في نزول القرآن مفرقاً: كشف ما يظهر من أعداء الأمة، ومنهم: المنافقون الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيها، ويظهرون المودة للرسول وللمؤمنين؛ وهم يبطنون الكفر ويوالون أعداءهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١). ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٢). ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾(٣).

المسألة الثانية: أسباب النزول.

المراد بسبب النزول معرفة السبب في نزول آية، أو آيات من القرآن الكريم حول واقعة أو وقائع حدثت في زمن رسول الله ﷺ، وأراد الله بيان حكمها لرسوله وأمته كما كانت الآيات تكشف سلوك المنافقين في المدينة. أو يكون سبب نزول الآية أو الآيات جواباً لسؤال سُئِلَه رسول الله ﷺ إما على سبيل طلب الحكم كما في قصة خولة بنت ثعلبة(٤). كما ذكر آنفاً، وإما على سبيل الامتحان كما فعل اليهود في سؤالهم عن الروح، وسؤال المشركين في مكة عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف بعد أن أشار عليهم اليهود أن يمتحنوه بهذا السؤال.

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٥ .

(٢) سورة التوبة الآية ٧٦ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٧ .

(٤) قيل خويله امرأة أوس بن الصامت سمع الله شكواها من زوجها من فوق سبع سموات، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٥ ص٢٩٦-٢٩٧.

وقد أوغل كثير من المفسرين في الاهتمام بأسباب النزول مما قد يُوهم أن آيات القرآن ما نزلت إلا لأسباب معينة. والحق أن القرآن نزل في الأصل لهداية العالمين، وانتشالهم من الجهل والكفر والوثنية وتعريفهم أن الله هو الذي خلق الكون وخلقهم، وأنه: لا خالق إلا هو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾(١). ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢). وتفرده عز وجل بالخلق يقتضي عبادته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣). وهذه العبادة تقتضي اختصاصه وحده بها ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٤).

وكون القرآن هداية للعالمين يقتضي تعليمهم الأحكام التي ترشدهم إلى الهدى، وتبعدهم عن الضلال؛ ولهذا كانت بعض الآيات تنزل عندما يكون هناك سبب لنزولها، كما حدث في قصة خولة بنت ثعلبة، ونزول الحكم في الظهار الذي كان سائداً في الجاهلية، وفي صدر الإسلام.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٣ .

** ولمعرفة أسباب النزول حكم وفوائد عدة، منها: ما ذكره الإمام السيوطي من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن هذه الحكمة تنشرح صدور المؤمنين؛ بما هم فيه من الإيمان ويعلمون أن الذي شرعه الله إنما هو رحمة لعباده فيزدادون هدى على هدى، وإيماناً على إيمان. وقد تنشرح بهذه الحكمة قلوب الظلمة والطغاة؛ فينتهون عن ظلمهم وطغيانهم عندما يعرفون عاقبة الطغيان وأن هلاك قارون كان بسبب طغيانه على عباد الله وفرحه بالمال الذي آتاه الله فظن أن ذلك بسبب قوته.

** ومن هذه الفوائد الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال. وقد استشهد الإمام السيوطي بما ذكره الواحدي: أنه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها[١]، وبما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: بأن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب[٢].

ومن الأمثلة على فهم الآية ودفع الإشكال بمعرفة سبب النزول أن مروان بن الحكم أشكل عليه قول الله تعالى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]. فقال: لئن كان كل امرئ فرح بما

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١١٤، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٢٩ .
(٢) مجموع الفتاوى ج١٣ ص١٨١ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٨ .

أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذّباً لَنعذَّبنّ أجمعين، فبيّن له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه وقد استحمدوا بذلك إليه(١).

** ومن هذه الأمثلة: أن عروة بن الزبير قال لخالته عائشة رضي الله عنها: أرأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾(٢). فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة قالت: بئسما قلت يابن أختي إن هذه لو كانت كما أوَّلتَها عليه كانت: «لا جناح عليه ألا يطوف بهما» ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلَّل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ قالت عائشة: وقد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما(٣).

** ومن الأمثلة: قول الله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾(٤).

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٦٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٨ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٥٢ - ١٥٣ .

(٤) سورة البقرة من الآية ١١٥ .

فلو أخذ بمدلول اللفظ دون معرفة سببه لاقتضى ذلك عدم وجوب استقبال القبلة في السفر والحضر، وهذا منافٍ للإجماع لأن استقبال القبلة من شروط الصلاة. فإذا عرف سبب النزول تبين أن المراد من الآية التخفيف على المسافر، وفيمن صلى وهو مجتهد في استقبال القبلة ولكنه صلَّى إلى غيرها.

** ومن فوائد العلم بسبب النزول: العلم بما إذا كان الحكم يخصص بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوصه وليس بعموم اللفظ، والحق أن تكون العبرة بعموم لفظ الحكم لا بخصوص أسبابه. ويشهد لهذا آيات كثيرة نزلت في أسباب واتفق على شمولها لغير الأسباب التي نزلت فيها. ومن ذلك: آية اللعان، فقد نزلت في شأن هلال بن أمية وزوجته، ونزل حد القذف في حق من رمى عائشة بالإفك، ونزل حد السرقة في حق المخزومية، ومع ذلك فهذه الأحكام عامة فيما يشبهها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته»[1].

(١) مجموع الفتاوى ج١٣ ص٣٣٩ .

المسألة الثالثة: جمع القرآن وترتيبه.

لقد مرّ أن رسول الله ﷺ كان يستعجل في تلقيه الوحي بالكتاب حرصاً منه على حفظه واستظهاره، فعلَّمه الله ألا يستعجل في تلقيه من الملك؛ لأنه عز وجل تكفل أن يجمعه في صدره ويبينه له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾(١). ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾(٢). ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾(٣). ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٤). وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ على الناس ما حفظه، وكان صحابته رضوان الله عليهم يتسابقون في حفظ واستظهار ما يبلّغهم من الآيات. وفي تلك المرحلة من نزول القرآن كان هم الصحابة حفظه في صدورهم، وتلذذهم بترديد قراءته لفهمه، فحفظه جمع منهم في حياة رسول الله ﷺ منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولاه، وعبد الله بن الزبير، وحفصة، وأم سلمة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وجمع آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين(٥).

---

(١) سورة القيامة الآية ١٦ .

(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .

(٣) سورة القيامة الآية ١٨ .

(٤) سورة القيامة الآية ١٩ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١١٩ وما بعدها .

أما بعد وفاته، فحفظه آلاف من المسلمين في المدينة وغيرها حيث كان الصحابة يعلِّمونه ويقرئونه لإخوانهم. وممن اشتهر منهم بتعليمه: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري[١].

** وإذا كان الاهتمام الأول يتمثل في حفظ القرآن في الصدور فإن تدوينه أيضاً كان محل الاهتمام من رسول الله ﷺ وصحابته رغم ضعف أدوات الكتابة، فكان عليه الصلاة والسلام يأمر كُتّاب الوحي بكتابة ما ينزل من القرآن؛ ومن هؤلاء الكتّاب: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب وغيرهم[٢]. وكان هؤلاء يكتبون ما يؤمرون به في عسب النخل، وفي الحجارة، والرقاع، وقطع الجلود، والعظام. وفي هذا قال زيد بن ثابت: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع. وكان رسول الله ﷺ يعلمهم بالمكان الذي يضعون فيه السورة، فإذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا. ذكر ذلك ابن عباس[٣].

ومن هذا يتبين أن القرآن كتب في زمن رسول الله ﷺ في أدوات

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص١١٩ - ٢٠٦ .

(٢) الإتقان ج١ ص٢٠٠ - ٢٠٦ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٥٧، ٦٩ .

الكتابة التي كانت متيسرة في ذلك الزمان، ولكنه لم يكن مدوَّناً في مصحف كحال المصحف الذي تم جمع القرآن فيه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

** وبعد وفاة رسول الله ﷺ وتولي أبي بكر لأمور الأمة وقيادتها جدّت أمور كثيرة أهمها ما حدث من القتل لعدد من قراء الصحابة وحَفَظتهم أيام حروب الردة مع مسيلمة الكذاب حيث بلغ عددهم السبعين أو تجاوزه بكثير كما قيل[1]، وكان من أشهرهم: سالم مولى أبي حذيفة بن اليمان. فلما رأى الصحابة ما حدث صعب عليهم ذلك؛ خشية أن يذهب كثير من القرآن، فتنبَّه لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي رواية زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحرّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر: قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نَتّهمك، وقد

---

(١) الإتقان ج١ ص١٦٦ .